وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

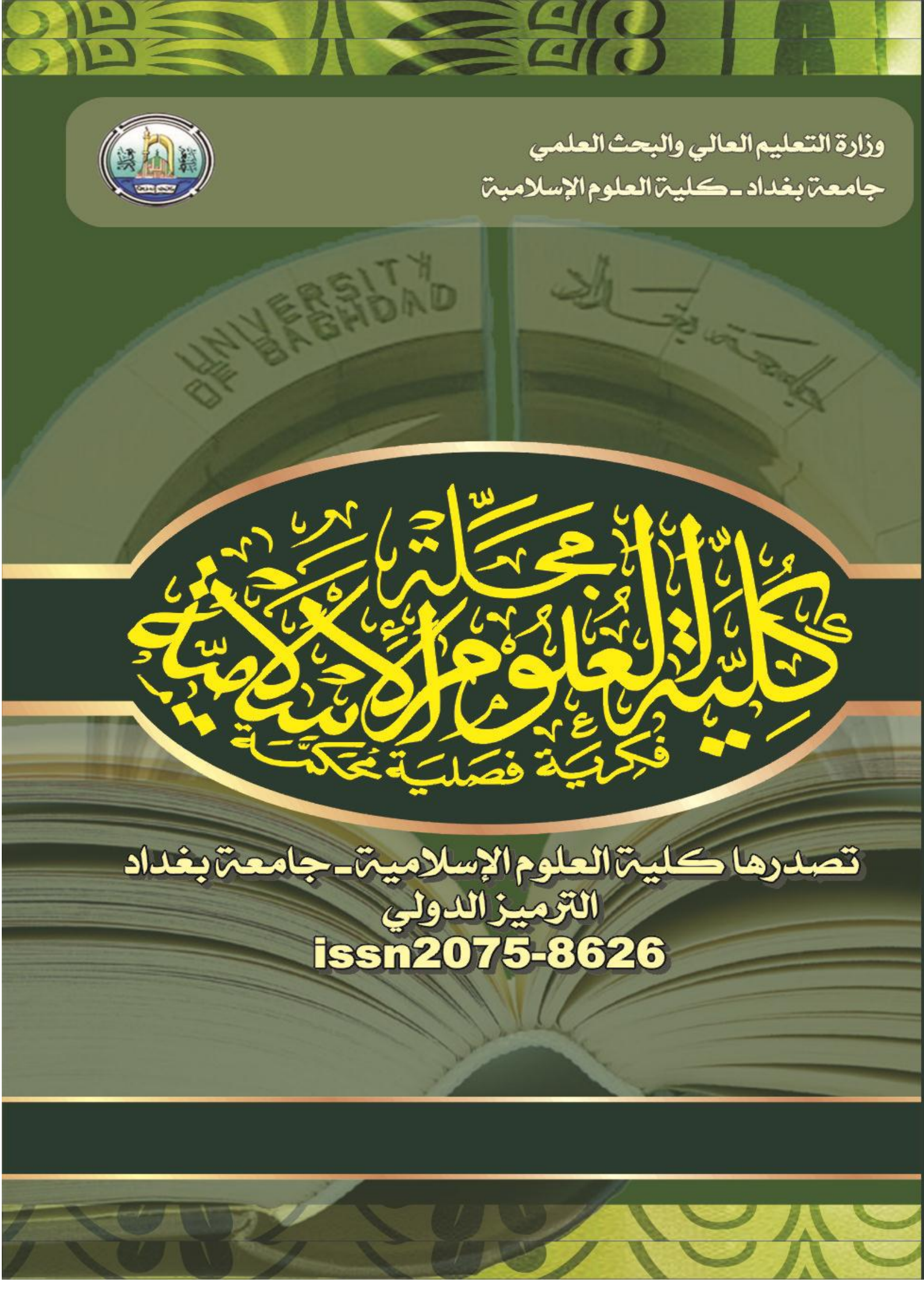

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد ـ كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية ـ فصلية ـ محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العدد (١٨)

الترميز الدولي : ISSN 2075-8626

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

جامعة بغداد - كلية العلوم الاسلامية

محتويات العدد ١٨ لعام ٢٠٠٨

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
حب الدنيا وشهواتها وافضلية لأخرة ونعيمها	د. احمد جلوب جاسم	٧
وصايا لقمان لابنه	م.م . وضاح عامر عبد الباقي	٧٨
قارون في القران الكريم	د. احمد عبد الستار الدهان	١٢٦
العناية بالقران الكريم في العهد النبوي الشريف	د.علي جمال علي	١٨٩
الرجوع في الهبة وموانعه في الفقه الاسلامي والقانون العراقي	د. ساجر ناصر الجبوري حسين احمد النجدي	٢٦٥
الوصية في المفهوم الاسلامي	عمر جاسم عنيد	٣٩٩
حكم امامة الصبي في الصلاة	د. عبد محمود عزيز صفر	٤٤٩
حكم جمع الصلاة من غير عذر عند الحاجة	د. حسين الشيخ غازي السامرائي	٥٣١
حماية الاقليات وفقا لمبدأي حق تقرير المصير والتدخل الانساني	م. م .علي حسين علوان	٥٧٨
الضوابط الفقهية واهم تطبيقاتها في باب الطهارة عند فقهاء الشافعية	د. محمد نجيب الجوعاني	٥٧٨
قضية الخلاص في الفكر الديني واثرها في التصوف الاسلامي	م.د. سعدي محمد عواد	٦٣٧
الزاهد ومتاع الحياة الدنيا	*د. عبد هادي فريج القيسي*	*٧٠٣*
الاحكام المتشابهة في الكتب السماوية المقدسة (القران والانجيل) دراسة تحليلة	د. عمر نجم الدين الجباري	٧٥٠
الاستعارة في ديوان شجر القمر لنازك الملائكة	م.م. لقاء عادل حسين	٨٤٠
غزوة دومة الجندل واثرها في عصر النبوة والخلافة الراشدة	م.م. عماد علي الشمري	٨٧٧
النظر في علم الكلام على ضوء مقاصده	د. محسن قحطان حمدان	٩١٣
الاسماء و الصفات وما اصطلحه الكلاميون	د. عبد الكريم هجيج طعمة	٩٧٤
المنهج الفقهي عند الامام القرطبي من خلال تفسيره ايات الاحكام	د. عبد الوهاب الاعظمي	١٠٢٣
الرثاء في شعر حافظ ابراهيم دراسة فنية موضوعية	م.م. خالدة عثمان فتاح	١٠٤٧
قاعدة الاصل في الاشياء الاباحة واثرها في الشريعة الاسلامية	د. ابراهيم عبد الرزاق محمود الهيتي	١١٣٠
حكم حق الانسان في الدفاع عن نفسه وحرماته في الفقه الاسلامي	د. اسماء نوري مزهر	١١٧٠

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية العلوم الإسلامية

الزاهد
ومتاع الحياة الدنيا

قدمه

د.عبد هادي فريح القيسي

اختصاص فكر إسلامي في كلية العلوم الإسلامية

المقدمـــة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي أرسل لنا محمد، وجعله أول من زهد، وأصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لما للزهد من أثر كبير في تربية النفس الإنسانية تربيـــة صـــحيحة على ما جاء في الكتاب والسنة النبوية، وإبعادها عن الرذائل وما يـــؤول إليها ، والدنيا وما فيها من زينة تبعد المسلم عن الـ ضائل والعمل بها لكي يصل إلى الآخرة التي فيها النعيم الدائم الذي أعـــده الله ﷻ للطـــائعين القانتين المتقين. ولما لهذا الموضوع من أثر فـــي المجتمـــع الإســـلامي وتزينه بالصفات الحسنة. وكذلك إني رأيت كثير من المسلمين لا يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، وبدؤا يتكالبون ء ى الدنيا والتمتـــع بأزينتهـــا وقاموا يفتخرون بالمال والبناء والمظاهر الأخرى لهذه الدنيا. وعلى ذلك كله اخترت هذا الموضوع، وإنني قد واجهت بعض الصعوبات فيه منها " "ة الأمنية والأوضاع التي نمر بها.

وقد جعلت هذا الموضوع إلى **مبحثين** :

الأول: الزهد وأهميته : وقد بينت تعريفه وثمرتـــه وأهميتـــه وحقيقتـــه وأقسامه وفضله وعلاماته وثمرته.

الثاني: الزاهد وإيثاره على نفسه : ، ـ د بينت فيـــه تعريـــف الزاهـــد وصفاته ، وتربية نفسه ، وارتقائه بالمقامات والأحوال وابتعاده عن الدنيا.

ثم **الخاتمة** بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

تمهيد

لابد لعقل الإنسان أن ينتج أشياء توافق هذا الخلق الجميل، في تدبير شؤون هذه الحياة الدنيوية. ولذلك قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] هذه العبادة تتطلب من الإنسان أن يحشد قواه الـ قلية لكي يتوصل إلى حقيقة العبودية التي طلبها الله ﷻ منه.

فمنذ أن خلق الله البشرية وفضل الإنسان على سائر المخلوقات، حتى إنه أفضل من الملائكة، لأن الله ﷻ جعل الملائكة تسجد لآدم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا... ﴾ [2].

فلابد للإنسان الاعتراف بهذا الخلق وأهميته، وأنه لم يخلقه عبثاً وإنما خلقه لأمر واحد هو العبادة.

ومع ذلك فقد اجتهد كثير من الناس في هذه العبادة على أن لا يكون هذا الاجتهاد خارجاً عن حدود الشريعة الإسلامية، وإنما هو مستند على أساس متين لهذه الشريع.

ولابد لنا أن نعرف أن رسول الله ﷺ هو الزاهد الأول وهو قدوتنا في ذلك، ولقد اشتهر قبل النبوة في الابتعاد عن الدنيا وما كان يعبد قومه

---

[1] الذاريات ٥٦.

[2] البقرة ٣٤.

من الأصنام والأوثان. فلولا ذلك الفكر الذي أبدع هذا الإنتاج لما وصل الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام إلى مرحلة الابداع في العبادة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وعلى هذا الأساس سار المسلم بفكرٍ نيرٍ وعقلٍ ناضج في الاجتهاد في الابتعاد عن الدنيا وزينتها وما أتت به من نعيم من خلال الفتوحات الإسلامية.

وعلى ذلك فقد قسمت هذا البحث إلى مبحثين هما :

المبحث الأول
الزهد وأهميته

عندما امتدت الدنيا بزخرفها ونعيمها على المسلمين، الذين لم يعهدوا ذلك من قبل، تكالب بعضهم على الدنيا ومنهم من أخذ منها بحظٍ وافر ومنهم من ابتعد عنها بالكلية، ولذلك جعل لنفسه منهاجاً خاصاً يستسقي لنفسه من المنهل العذب لشريعة الإسلامية، ولكن بتوجه خاص لا يخرج عن حدود الشرع.

وعلى هذا قسمت المبحث إلى:

أولاً: تعريف الزهد

وقد عرف الزهد تعاريف كثيرة تدلُ على الابتعاد عن الدنيا وزينتها، ومن هذه التعاريف ما يلي:

الزهد: عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف).

وقيل: هو إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلّية).

وقيل: هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه).

) القشيري، عبد الكريم بن هوازن القشيري د ٦٥ هـ، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار التربية – بغداد ١٤.

) الهروي، عبد الله الأنصاري د ٨١ هـ، كتاب منازل السائرين، مكتبة الشرق الجديد، بغداد ٢٠.

إذن الزهد: هو الابتعاد عن كل ما يبعدك عن الله ﷻ سواء كان بتكلف أو بغير تكلف.

وعلى هذا فالزاهد لابد له من الابتعاد عن كل ما ظهر وما بطن، وإجهاد نفسه وإرغامها إلى ما يقربها إلى الله ﷻ .

ثانياً: أهميته

للزهد أهمية جليلة في الحياة لأنه يكبح النفس ويبعدها عما تطلبه من متع الحياة.فالزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين، فهو عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس، فإذا رغب الإنسان عن الابتعاد عن الدنيا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى إلى الله تعالى فهذه هي درجة العليا. [1]

وأهمية الزهد تكمن فيها أمور مهمة للزاهد فهي:

. أهمية الزهد تكمن في إراحة القلب والجسد، ـ ال تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [2] وقول الرسول ﷺ

---

[1] الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي د ٥٠٥ هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت . ١٦ .

[2] الغزالي: إحياء علوم الدين . ١٦ ١٧ .

[3] المعارج ٩ - ١ .

(لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ...)

وقوله ﷺ (من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات) [1].

1. أهمية الزهد تكمن في موضع القدوة والقدرة على متاع الدنيا. قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [2] فقد كان كثيراً من الأمراء والخلفاء قادرون على التمتع بالملذات الدنيوية ولكنهم كانوا قدوة لغيرهم من المسلمين كما في حياة عمر بن الخطاب وسيدنا علي رضي الله عنهما والإمام عمر بن عبد العزيز [3].

2. أهمية الزهد تكمن في تربية العبد نفسه على الأمانة وعدم جرها إلى الحرام، لأن من يزهد في الحلال يكون أبعد ما يكون عن الحرام، ونرى ذلك في الصيام حيث يترك الصائم المطعم والمشرب الحلال

---

[1] البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل إبراهيم ، ت ٥٦ هـ، صحيح البخاري ، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، كتاب الرقاق، باب ما ينفى من فتنة المال ١٠٧٥) ، ٢٣٦٤ .

[2] ابن جعفر، محمد بن سلامه أبو عبد الله ت ٥٤ هـ/ مسند الشهاب ، تحقيق أحمد عبد المجيد ١٩٨٦م ٢٦ ، رقم الحديث ٤٨ .

[3] الأعراف ٣٢

[4] ينظر: الآلوسي، أبي الفضل شهاب الدين ت ٢٧ هـ، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة ١١ .

وإن أهله بالحلال تعظيماً لله، وخشية لعذابه [1]. فهذه الأهمية تكمن في تربية النفس في الابتعاد عن شهواتها وملذاتها التي تبعدها عن الحضرة الإلهية، وتغرس فيها حب الدنيا وزينتها.

. أهمية الزهد تكمن في تخلي عن حظوظ الدنيا والتعلق بها، وأعدها متاع غرور كما قال تعالى ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [2].

ثالثاً: حقيقة الزهد

لزهد حقيقة لها أثرها في تقويم سلوك الزاهد، وهذه الحقيقة هي تنقية القلب والروح من الآثار السلبية التي سرت في مجراها منذ زمن. وهذه الحقيقة مستمدة من كتاب الله ﷻ وسنة الرسول الكريم التي تدل على تخلص الروح من الأدران وجميع الرذائل.

فالزاهد إذا ابتعد عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه، وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال، فهو يرغب عن كل ما سوى الله تعالى ولا يحب إلا الله تعالى فهو الصادق في زهد ، يبعد عن كل تداعيات الدنيا [3]. والذي يرغب عن كل حظ ينال

---

[1] ينظر: علي: هاشم محمد، المنهاج الإسلامي، تقديم عبد الله عقيل سليمان، دار الثقافة، الدوحة ١٩٩٦م ٢٨٨.

[2] آل عمران ١٨٥

[3] ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدين ٤ ١٧.

في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل يطمع في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضاً زاهد ولكنه دون الأول، والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقاً).

فحقيقة الزهد تأمل الزاهد الدنيا تأملاً يجعله يذمها ويحتقرها، ويعدها هي مبعث الأحزان والأكدار، وبذلك يعرف حقيقتها وبذلك يزهد فيها . كما فعل عمر بن عبد العزيز إذ جاءته دنيا راغمة فتركها وجعلها تحت قدميه وسار برعيته نحو صوب الآخرة).

وحقيقة الزهد أن يبتعد عن الشهوة في الحال وعدم الاغترار بتسويف الشيطان ومآثره عليه، وبذلك يعرف خساسة الدنيا والاشارة لها بقوله تعالى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ . وهو يعرف ها لا تزن عند الله جناح

) الغزالي، المصدر نفسه.

) ينظر: التفتازاني: محمد الغنيمي، ابن عطاء الاسكندري وتصوفه، المطبعة الفنية الحديثة ٣٤ .

) ينظر: الغزالي: إ- ياء علوم الدين ١٧ .

) النساء ٧٧

بعوضة كما قال ﷺ (ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها قطرة أبداً) [1].

فهذا يدل على احتقار الدنيا، ويحث على الابتعاد عنها، وقال الشبلي رحمه الله عندما سُئل عن الزهد (الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة) [2].

إذن تتجلى حقيقة الزهد في فكر الزاهد بأن الدنيا أدنى شيء خلق فلا يقتربها، ولا يتألم بفقدها لأنها زائلة، تخون من أمنها. وعلى ذلك فإنه يبتعد عنها كل البعد لأنه يريد الوصل إلى الله تعالى بالطريق الذي سلكه.. ويؤيد هذا قوله ﷺ لمعاذ كيف أص بحت فقال معاذ: أصبحت مؤمناً حقاً فقال عليه الصلاة والسلام: لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال أصبحت لا أخطو خطوة وأظن أني أخطو أخرى وكأني أنظر إلى القيامة قد قامت وكل أمة تدعى إلى كتابها وأهل الجنة في الجنة يتنعمون

---

[1] ابن ماجه: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني د ٧٥ هـ، السنن، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ـ اب الزهد، باب مثل الدنيا ٧٧ ، واللفظ له ؛ الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى د ٧٩ هـ، السنن، حققه احمد شاكر وآخرود ، دار إحياء التراث، بيروت، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا، وقال حديث صحيح غريب ٨٥. .

[2] الطوسي: سراج الدين أبو نصر عبد الله بن علي ، اللمع في التصوف ، صححه رنولد نيكسلون ، مطبعة بريل ، ليدن ٩١٤، ٧. .

وأهل النار في النار يعذبون فقال له عليه السلام (هيئاً لك العلم [1]) فمن علم معاذ هذا الكلام لو لم يكن زهداً حقاً وأسرت الحكمة في فكره كما قال ﷺ (... فإنه يلقي الحكمة [2]) .

رابعاً : فضله

أما فضله: فقد أعد الله عز وجل الزهد في الدنيا من أحسن الأعمال عندما قال ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [3] أي أزهدهم فيها، وقال قوم: ترك الدنيا كلها هو الزهد، أحبَّ تركها أم كَرِه [4]) .

وأعد الرسول ﷺ أفضلية للزهد وإن صاحبه يلقي الحكمة كما قال ﷺ (إذا رأيتم العبد وقد أعطى صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فإنه

---

[1]) ابن ماجه، السنن ، ٣٧٣ ، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا رقم ١٠١).

[2]) الكهف ٧

[3]) ينظر: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت ٩٩٨ م ، ٢١٩ .

يلقى الحكمة [1] ومن أوتى الحكمة فقد نال الخير الوافر كما قال تعالى ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [2].

وفضل الزهد على المسلم أن يحبه الله كما قال ﷺ (ازهد في الدنيا يحبك الله.. [3]) فجعل الزهد في الدنيا سبباً للمحبة. ومن أحب الدنيا أبغضه الله ﷻ [4].

والزهد في الدنيا يعطيك الخيرية فيها، قال بعض الصحابة لصدر من التابعين: أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خيراً منكم. قيل: ولم ذلك، قالوا: كانوا أزهد في الدنيا منكم [5].

وفي الزهد راحة الخاطر واستراحة الضمير وهذا بترك القلب كل لذة كما قال (رويم) (تحقق عندما يترك القلب كل لذة) [6].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٠.

[2] البقرة ٢٦٩

[3] ابن ماجه، السنن ٢ ٣٧٤ ، كتاب الزهد في الدنيا،ر م ٤١٠٢).

[4] ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدين ٤ ٢٠٠.

[5] المصدر نفسه ٤ ٢٤٠.

[6] غني: د.قاسم، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة عن الفارسية، صادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م ٨١٠.

خامساً: بيان درجته وأقسامه

للزهد درجات تتفاوت فيما بينها ومن زاهد إلى آخر حسب طبيعة الزاهد الذي يترك المتاع الدنيوي ويرغب في الآخرة. ومن تلك الدرجات كما قالها أهل الزهد هي:

الأولى : وهي السفلى: أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته، وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى (المتزهد). وهذه الدرجة هي ترك الحرام وتسمى زهد العوام.

الثانية: الوسطى: الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه، كالذي يترك درهماً لأجل درهمين، ويظن في نفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه. ويسمى زهد الفضول أو زهد الخواص.

الثالثة: وهي العليا: أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده، إذ لا يرى أنه ترك شيئاً. إذ عرف أن الدنيا لا شيء. فيكون كالذي ترك خزفة وأخذ جوهرة، فلا يرى أنه ترك شيئاً، والخزفة بالإضافة إلى الجوهرة، لا تساوي شيء أمام الله ونعيم الآخرة. فهذا هو الكمال في الزهد. وتسمى زهد العارفين) .

) ينظر: الهروي، منازل السائرين ٠ ٣١ ؛ الغزالي، إحياء علوم الدين . ٢٥ – ٢٦ ، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب د ١٧، هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ٣٨٧ هـ ٢ ٣٩ .

أما أقسامه: فقد قسم بعض علماء التصوف الزهد إلى قسمين حسب المنظار الذي ينظر به إلى الزهد ومن ذلك ما قاله ابن عطاء الله السكندري: زهد ظاهر جلي، وزهد باطن خفي، فالظاهر الجلي للزهد في فضول الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك، والزهد الخفي في الرياسة وحب الظهور، ومنه الزهد في التدبير مع الله).

ومنهم من سمه إلى ثلاثة أقسام وهي:

. المبتدئون وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك.

. المتحققون في الزهد ووصفهم ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا.

. الذين إذا أقدمت إليهم الدنيا بحذافيرها ما ابتغوا منها شيئاً).

وقيل إن للزهد أقسام هي:

زهد المريد في أمتعة دنيا والمال، وزهد العابد في كل ما شغل البال، وزهد أهل الورع. في مباح الحلال والطمع، وزهد السالكين فيما يحجبهم عن قيام الدين، وزهد أهل الأحوال، في أحوال غيرهم من الرجال وزهد أرباب المقامات فيما يصدهم عن المشاهدات، وزهد

) ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، القاهرة ٣٤٥ هـ ، .

) محمود أبو الفيض المنوفي ، مع لم الطريق إلى الله، دار العهد الجديد ٤٠ .

أصحاب المعارف فيما يقطعهم عن العوارف، وزهد أهل التحقيق الكبار فيما سوى الحق من الأغيار. وهؤلاء يرون مقام الزهد عندهم عين الحجاب [1].

سادساً: علاماته

فإذا أراد الزاهد أن يعرف بأنه زاهداً في الدنيا، فليعلم أن لذلك علامات واضحات ومن هذه العلامات:

العلامة الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود، كما قال تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [2]. بل أن يكون بالضد من ذلك، وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده.

العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامه ومادحه، أما إذا رضى بالمدح فقط فهذا ليس بزاهد.

العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله ﷻ والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب على حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله. وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فلا يجتمعان [3].

---

[1] الشاذلي، جمال الدين أبي المواهب، د ٠٠ هـ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر ٢٨.

[2] الحديد ٢٣

[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ٤ ١٤١.

وجاء في تفسير القرطبي: من علامة الزهد في الدنيا الزهد في لناس وقال قوم لا يكون الزاهد زاهداً حتى يكون ترك الدنيا أحب إليه من أخذها [1].

ومن علامات الزهد اليقين وثقة العبد بربه وإيمانه به فهو يتعامل مع الله ﷻ قبل أن يتعامل مع البشر [2]. فإذا تيقن من ذلك تحقق في عمله، فيكون يقينه بالله يبتعد عن سواه.

وقد قيل علامة الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف، وقيل علامة الزهد قصر الأمل، وقيل علامته أن يكون الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة، وقيل من علامات الزهد التوكل على الله حق توكله. [3] وذلك امتثالاً لحديث الرسول ﷺ : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير.. [4]).

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٠ ٢١٩ .

[2] هاشم: المنهاج الإسلامي ٢٩٣ .

[3] الغزالي، إحياء علوم الدين ٤٢ .

[4] ابن ماجه: السنن، كتاب الزهد، باب التوكل ١٣٩٤ ؛ الترمذي، السنن، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله واللفظ له، وقال حديث حسن صحيح، ٥٩ .

سابعاً: ثمرته

لكل زرع ثمار وللزهد ثمرتان كما أراهما منها ما يكون في الدنيا ومنها ما يكون في الآخرة.

أما التي تكون في الدنيا : فهي القناعة من الدنيا بقدر الضرورة. فالأصل نور المعرفة، فيثمر حال الانزواء، ويظهر على الجوارح بالكف، إلا عن قدر الضرورة في زاد الطريق، من مسكن وملبس ومطعم وأثاث) .

وكذلك فيها الهداية وانشراح الصدر بالإيمان الحقيقي، والهيبة والوقار من الله ﷻ ، كما قال تعالى﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾) وقال ﷺ عند ما سئل عن الشرح، قال (إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر واتسع) قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ قال (نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله) انظر كيف الفلاح في الدنيا بفضل الزهد والابتعاد

) الغزالي: آداب صحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، تحقيق د.محمد سعود المعيني، مطبعة العاني، بغداد ٩٨٤ م ٠٩ .

) الأنعام ١٢٥ .

) البيهقي، أبو بكر احمد الحسين ، ت ٥٨ هـ، شعب الايمان، تحقيق محمد السعيد، ، دار الكتب العلمية، بيروت ٤١٠ هـ ٢٥٢ .

عن الملذات الدنيوية، من الهدية والوقار الذي أعز الله به الزاهد من انشراح الصدر والحكمة التي تتلجلج على لسانه وجميع جوارحه وكما جاء في الحديث القدسي (... وأنا يده التي يبطش بها... [1]) .

أما في الآخرة : فإن ثمرته تظهر بالنعيم الأخروي الذي أعده الله ﷻ للمؤمنين لطائعين الزاهدين المبتعدين بفكرهم النير عن الدنيا وما آلت به من نعيم وافر. كما قال تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [2] ، وقال تعالى ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ .. ﴾ [3] فهذا كله للذين تركوا متاع الحياة الدنيا واجتهدوا بذلك الابتعاد، طلباً للآخرة وطمعاً في مرضاة الله ﷻ . فقال الله ﷻ لهم ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [4] .

وصدق الشاعر عندما قال:

---

[1] احمد بن حنبل ، د ٤٠ هـ، مؤسسة قرطبة، مصر ، ٢٥٦ ؛ البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، كتاب الرقاق، باب التواضع تحقيق عبد العزيز بن باز،دار الكتب العلمية بيروت ١ ١٤ .

[2] مريم ٦١ .

[3] محمد ١٥

[4] الأعراف ٤٣

لا تــركنن إلى الدنيا وزينتها		فالموت لاشك يفنيها ويبديها
واعمل لدار غداً رضوان خازنها		والجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتــها		والزعفران حشيش نابت فيه)

فثمرة الزهد الأخروية أتت بالعمل الصحيح والتفرغ إلــى الله ﷻ بالكلية. فمن أخرج الدنيا من قلبه أدخل الآخرة محلها فإنه يفــوز الفــوز العظيم.

ومع ذلك فالزهد يربي النفوس ويوجد الطمأنينة، ويعين ﻫ ى الصلاح وتقوى الله ﷻ ، ويشعر الإنسان بالسعادة الحقيقية التي ترفع الزاهد إلى أرقى المستويات.

) علي: المنهاج الإسلامي ١٠ .

المبحث الثاني

الزاهد وإيثاره على نفسه

عندما تكون العقيدة حية في نفس المسلم، فإنها تنور جوانب النفس، وينتفض الكيان الإنساني بها انتفاضة الحق، فيبتعد عن مآثر النفس السلبية التي تكدر النفس، فيصبح المسلم محاط بالسعادة، ويحول الفكر الإنساني إلى التشبع بفيوضات الرحمة والعزة والقوة والاطمئنان بالله ﷻ .

وبالعقيدة التي يرتكز عليها الفكر والتكوين العقلي الإسلامي، والتغيير إلى الخط الإلهي، وبالعبارة التي نمي العقيدة، وتحافظ على إشراقها وحيويتها وفاعليتها، فينظر الجانب الجميل في الإنسان بصورة واضحة مفعمة بالنور الإيماني.

فالأوامر العبادية التي يقوم بها المسلم تزيل ظلام ذاته، وتُنمي فيه نور الإيمان والمعرفة الحقيقية، التي يروم الوصول إليها.

فالزاهد يصل إلى تلك الحقائق بعلمه وعمله وجهاده لنفسه فيبعدها كل البعد عن الدنيا وما تزينت به، لأن الدنيا تريد إبعاد المسلم عن الآخرة وما تحتويه من نعيم وافر للذين يبتعدون عن الدنيا. والذين قالوا لله ﷻ ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾) .

) البقرة ٢٨٥

وعلى هذا فقد قسمت هذا المبحث إلى معرفة الزاهد وصفاته وتربيته لنفسه وكيف يسقط الإرادة والتدبير عنه وابتعاده عن الدنيا وزخرفها. لكي يتسنى لنا معرفة حقيقة الزاهد وإيثاره على نفسه.

أولاً: تعريف الزاهد وصفاته

وقد عرف أهل التصوف والعلماء الزاهد بتعاريف كثيرة تدلُ على ابتعاد المسلم عن الدنيا وزينتها ومن هذه التعاريف:

قال سفيان الثوري: الزاهد هو الذي يحقق الزهد بفعله في الدنيا .

وجاء في كتاب إحياء علوم الدين: الزاهد: من أتته الدنيا راغمة وله القدرة على التنعم بها من غير نقصان لجاه، فتركها طمعاً في ثواب الله في الآخرة [1] .

وقيل الزاهد: هو الذي يعزف عن كل ما تستطيبه النفس في المعتاد ففي اللباس يهجر لينه ويكتفي بالخشن من الصوف [2] وغير ذلك.

---

[1] ينظر: أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني د ٣٠. هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفيا ، المكتبة السلفية ، ٨٦ ٣٨٧ ؛ غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ٢٨٣ .

[2] ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدين . ٢١٩ ؛ آداب الصحبة والمعاشرة ١٠ .

[3] ينظر: الشاذلي، عبد اللطيف، التصوف وا: تمع، مطابع سلا ١٠ .

إذن الزاهد: هو الذي يجاهد نفسه في الابتعاد عن الدنيا ونعيمها ما ظهر منها وما بطن، جهاداً يبعده عن المحبوب إلى ما هو أحب إليه وهو الله ﷻ وما أعده للزاهدين.

ثانياً: صفاته

لقد اهتم القرآن بتربية الضمير، وخاطب الوجدان وأيقظ المشاعر ولفت نظر الإنسان إلى السعي، لأخذ النصيب في الدنيا، والقناعة بنصيبه، وعدم الإلحاح والركض وراء المغرات، ليكون مطمئناً، هادئ البال، متزن التصرفات [1]. وأعطى للمؤمنين الطائعين الزاهدين صفات في القرآن الكريم فمن اتصف بها كان من الزاهدين كما قال تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2] وقال تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [3].

ومن صفات الزاهد: الرحمة والإخلاص والتقوى والصبر على الأقدار واليقين الكامل بالله ﷻ والتوكل عليه حق توكله والخوف منه

---

[1] الغزالي، آداب الصحبة والمعاشرة ١٢ .

[2] التوبة ١١٢

[3] آل عمران ١٣٤

في السراء والضراء والورع الكامل عن كل ما به شبهة وشكره على تلك الأنعم التي أنعمها الله عليه والعدل والإحسان بكل شيء ومحاسبة النفس على الصغيرة والكبيرة وجعل محبة الله ورسوله مسيطرة على قلبه بشكل كُلي، والحياء والزهد في أمتعة الدنيا وزينتها وغيرها من الصفات التي تكمل شخصية الزاهد وتجعلها شخصية إسلامية مترفعة عن كل الرذائل.

إذن هذه الصفات سلسلة ذهبية يتزين بها الزاهد وهي مرتبطة بعضها ببعض إذا ما انقطعت الواحدة عن الأخرى فإنه يصيبه خلالُ في اكتمال الشخصية الصحيحة. وبذلك لا يصبح زاهداً وإنما يكون متزهداً.

فالإدبار عن الدنيا والإقبال على الآخرة بكل إخلاص ودقة في العمل هو شأن الصادقين الزاهدين الذين اقتدوا بأول الزاهدين محمد ﷺ الذي أسس أساس الزهد وأعطى الصفات الحسنة للزاهد فكان ﷺ تجتمع فيه جميع الصفات التي ذكرناها بل وكان يزيد عليها،

فكان ﷺ يركب الحمار وتواضعاً لله ﷻ ويلبس الصوف ويعين الضعيف ويرقع ثوبه ويعين أهله في بيته، فأي ملك من ملوك الأرض يقوم بهذه الصفات وأي تواضع هذا يصدر من أفضل مخلوق على هذه المعمورة) . وقال ﷺ (إن ربي ﷻ عرض عليّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك

) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ، ٨٠ ، ٨١ .

وأثني عليك [1] ، وقد قال الصحابة ﷺ للرسول ﷺ يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال (كل مؤمن محموم القلب، صدوق اللسان) قلنا يا رسول الله وما محموم القلب؟ قال (التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد) [2] . فهذه الصفات ترفع من شأن الزاهد وتجعله متمسكاً بآثار الرسول ﷺ وبعيداً عن الخروقات التي تثقب الصرح الإيماني الصحيح.

ومن تلك الصفات التفكر فقال تعالى ﴿ ... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ [3] والتفكر يكون في آلاء الله لا في الله، فإنه من أحب أحداً فإنه يفكر فيه وفي حسنه وصورته وأفعاله فبذلك يقوي المحبة، فكيف فيمن يفكر بآلاء الله ﷻ وخلقه وه ا الكون وما احتوى، فيتلذذ بهذا التفكير، ويشعر بالقرب منه ﷻ [4] .

---

[1] الترمذي، السنن ، ٤ ، ٦٧٥ ، كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، رق ٢٣٤٧ وقال عنه الترمذي هذا حديث حسن.

[2] ابن ماجه، السنن ، ٢ ، ١٣٩٩ ، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رق ٤٢١٦ ، وقال عنه الكناني، هذا إسناد صحيح، رواه البيهقي في سننه، مصباح الزجاجة ، ٤ ، ٢٤٠ .

[3] آل عمران ١٩١

[4] ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ، ٤ ، ٢٧ ٢٨ .

ثالثاً: الزاهد وتربية النفس

تربية السلوك عند المؤمن الزاهد نتيجة مطلوبة من تربية الجانب الفكري والعاطفي عنده، وعلى ذلك يكون الحساب والعقاب، وبها تثبت شخصية المؤمن أمام الآخرين.

فإذا تمت تربية النفس منذ الصغر على شكل مراحل ينتقل بها الزاهد فيتخلص من الرذائل منذ صغره إلى نشأته.

فمكونات النفس البشرية وسلوكها وتربيتها تربية صحيحة أو غير صحيحة (البيئة والمعلم وطبيعة البلاد والوراثة والأصدقاء والزمان والصحة الجسمية والعلم والجـ ل وغيرها) [1].

وعلى ذلك فالصبي يرسل إلى المعلم فيتعلم القرآن والحديث وغيرها من العلوم. ثم إذا ظهر من الصبي خلق حسن ينبغي أن يكرم عليه ويجازى بما يفرح به، ويتدرج في تربيته شيئاً فشيئاً، قال سهل بن عبد الله التسري كنت أشاهد قيام خالي محمد بن سوار في لليالي وأنا بن ثلاث سنين، فقال لي خالي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك قلت: كيف أذكره، فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك من غير أن تحرك به لسانك ثلاث مرات: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليال، فقال: قل سبع مرات، فقلتها ليال، قال: قل أحد عشر ة مرة، فقلتها، فوقع في قلبي حلاوة الذكر. وبعد سنة قال لي خالي، احفظ ما علمتك ودم عليه

---

[1] ينظر: ابن حاله: علي، مرآة ا خلاق ٦ .

إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت حلاوته في سري؛ ثم قال لي خالي يوماً، يا سهل من كان الله معه وشاهده وناظر إليه أيعصيه، إياك و لمعصية، فكنت أخلو بنفسي حتى أذهب إلى المعلم ساعة فأتعلم ثم أرجع حتى حفظت القرآن وأنا ابن ست ، وسبع سنين) .

فتربية الصبي لها أثرها في تقويم سلوكه وشحذ نفسيته بالفضائل منذ صغره، فيسير عليها وتعد عنده المنهج السليم الذي يقوّم به تلك النفس، فالزا د الحقيقي لابد له من معرفة عيوب نفسه ويبتعد عنها تدريجياً لكي ينال حظ الوافر في هذه الدنيا ويفوز الفوز العظيم في الآخرة.

وللتربية السلوكية عند المؤمن يمكن أن ننظر إليها من جانبين مهمين هما:

الأول: كمية الأعمال الصالحة التي يؤديها خلال أيامه.

الثاني: مستوى كل عمل يقوم به وطريقة أدائه) .

) طاش كبرى زاده: أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، راجعه كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة ٢ ٤١ ٢٤٢ .

) ينظر: الكرماني: أحمد حميد الدين، الأقوال الذهبية، ، تحقيق د.مصطفى غالب، دار محيو للطباعة، بيروت ٩٧٧ م ٦٩ ٧٠ .

فبالأعمال الصالحة والمستوى العمل الذي يقوم به تكتمل شخصية المؤمن من حيث سلوكه الذي تنبع عنه أعمال خيرية تدلُ على حسن تربية السلوك لهذه الشخصية.

فمحاربة النفس وكبحها عن كل ما نهى عنه وما هو محضور، له ره في سير النفس نحو ما هو مطلوب شرعاً. وبهذه المجاهدة، تتصف أفكار الزاهد بالخيرية ثم تترقى في المقامات والأحوال التي تمر بها النفس الإنسانية وتتحقق في النهاية بمعرفة الله ذوقاً) .

فبالمجاهدة والتربية الصحيحة تترك النفس ما اعتادت عليه من اللذة والشد وة، فهي تتسلط على القلب بالإمرة وهي الشهوة، فيحتاج أن يكبحها فإذا كبحها عادت وانفطمت عما تروم الوصول إليه. أما إذا بقيت تتردد في كبحها وتتلفت إلى شهوتها فإنها لم تنفطم وتريد العودة إليها) . أما إذا وجدت طيب اليقين بالمجاهدة الصحيحة، وحلاوة اختيار الله ﷻ بالإخلاص له فإنها لا ـ اود الرجوع إلى تلك الشهوات. ـ ال ـ الى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾) بمجاهدة النفس

) ينظر: التفتازاني، ابن عطاء الاسكندري ٦٧ .

) ينظر: الترمذي: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم، كتاب الرياضة وآداب النفس، عني به: د. ا ج أربدى ود.علي حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي - مصر ٩٤٧ م ٠٤ ٠٥ .

) العنكبوت ٦٩

بالصبر عند الابتلاء وإبعاد النفس عن الشهوات، ليعقب أنس الصفاء ، وكمال السعادة بالله ﷻ وبالزهد بما تستلذ به النفس من المحظورات من الشهوات فالمواظبة على الطاعات والقيام بالمجاهدات لها تأثيرها على القلب الذي به إذا صلح صلح الجسد كله [1] كما قال ﷺ (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله .. [2]) .

وللمجاهدة وتربية النفس عند بعض أهل التصوف مراحل أربع مرتبط بعضها بالبعض الآخر:

أولاً: رياضة النفس من الناحية الأخلاقية، وهي عملية استبدال أخلاق النفس المذمومة بأضدادها من الأخلاق المحمودة.

ثانياً: اصطناع العزلة والخلوة والذكر، وهي وسائل عملية من شأنها أن تهيئ السالك لأحوال الوجد والفناء والمعرفة.

وثالثاً: إلزام النفس آداب السلوك العملية التي هي شرط صحة جميع ما يعرض للسالك في طريقه.

---

[1] ينظر: محمد بن علان الصديقي الشافعي، ت ١٠٥٧ هـ، دليل الفالحين وعمدة السالكين ، ١ ، دار الريان للتراث، القاهرة ١٩٨٧ م ، ١ ١٢ .

[2] ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ٣ ١٨ .

[3] البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، كتاب الايمان، باب ما استبرأ لدينه، ١٦٨ .

رابعاً: ترقي النفس في المقامات والأحوال المختلفة، فإذا ترقى الصوفي في مدارج مجاهدته لنفسه على هذا الوجه انتهى إلى المعرفة بالله، وأصبح متصفاً بالكه ل الخلقي في أسمى صوره) .

فهذه المراحل مرتبطة بعضها ببعض، فلا يحق للزاهد أن يتـ طى الأولى ويذهب إلى الثانية أو من الثانية إلى الثالثة، بل يكمل الأولى ثم يذهب إلى الثانية ثم يذهب إلى الثالثة ثم الأربعة. وفي النهاية ينتج عنه تهذيب الذات والابتعاد عن الملذات، والتخلي عن جميع الشهوات، وبذلك يربي نفسه تربية تسير إلى الله ﷻ بالكلية.

الزاهد يتأسى بالرسول ﷺ وهو الزاهد الأول الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ويصوم كما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له (لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قال (أفلا أحبّ أن أكون عبداً شكوراً) ، فالزاهد يقتدي بجميع أفعال الرسول ﷺ وأقواله ويسير عليها سيراً لا يتخطى واحدة دون الأخرى، وبذلك فهو متمسك بأفعال وأقوال الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً.

) التفتازاني: ابن عطاء السكندري ٦٩ .

) البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، كتاب الرقاق، باب الصبر على محارم الله، ح ٦٢٧٥ ؛ مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ت ٢٦١ هـ، الصحيح بشرح النووي، كتاب صفة القيادة، باب الأعمال والاجتهاد في القيادة، واللفظ له.

والزاهد بحق من ينظر إلى الدنيا كما نظر إليها الرسول ﷺ ، ويحتقرها لأ ها فانية فلا تكون همّ المؤمن الزاهد، وبذلك فهو يعزف عن الدنيا وعن كل مباح فيها مع القدرة عليه لإصلاح النفس وتقويتها، والزهد على هذا المفهوم يُعدُّ فضيلة عالية موصولة بفضائل أخرى مثل القناعة والعفة والصبر والتواضع والإيثار وغيرها.

فبعض الناس مَن يعد زاهد من لا يوجد لديه مالاً وأن يكون فقيراً وبذلك يكون زاهداً في الدنيا.

والحقيقة إن هذا لا يكون قياسياً، فإن الذي يكون لديه مالاً وينفق منه في سبيل الله وفي الأوجه التي يرضاها الله ﷻ ، فهو أفضل من الذي لا يوجد لديه مالاً ينفقه وهو زاهد، فالزهد مع إ فاق المال يكون أجل من الذي يزهد ولا ينفق في سبيل الله. ولنأخذ مثلاً على هذا، أبو بكر رضي الله عنه عندما جاء إلى رسول الله ﷺ بجميع ماله ينفقه في سبيل الله فقال له ﷺ ما أبقيت لأهلك قال: أبقيت لهم الله ورسوله) . علماً إن أبا بكر رضي الله عنه كان زاهداً وعابداً ومتأس اً بالرسول ﷺ ونفق جميع ما لديه من مال! إلا يكون أفضل ممن يعبد الله سائراً على منهج الرسول ﷺ في العبادة، ولا يوجد لديه مال ينفقه.

) أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن ، حققه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت ، ٢٩ ، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، رق ٦٧٨ .

إذن كل زاهد ترك الدنيا وزينتها وسار إلى الله ﷻ بقلبه وأخرج منه الدنيا وحب المال، وأنفق ماله في سبيل الله لا يريد بذلك مدح الناس وثناءهم عليه وإنما يريد القرب من الله ﷻ وطمعاً في دار الخلود التي أعدها الله ﷻ للمؤمنين الطائعين الزاهدين بالدنيا وعرضُها) .

) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ، ٢١٩ ؛ التفتازاني، ابن عطاء الاسكندري، ٣٥ .

رابعاً: الزاهد وارتقائه بالمقامات والأحوال

بعدما سار الزاهد بتنقية نفسه من أدرانها وما علق بها من رذائل، وتحقق بالآداب والسلوك التي أوصلته إلى المقامات والأحوال، فهو يسير فيها ويرتقي دون أن يحدث له اضطراب وانقطاع عن الوصول إلى الله تعالى.

وهذا الرقي لا يحصل إلا بعد مجاهدة النفس كما بينا ذلك سابقاً.

وهذه المرحلة لا ينالها كل زاهد بل الذي يجاهد نفسه ثم يصل إلى المقامات ثم الأحوال ولا يصل إلى الأخيرة إلا بعد إكمال المقامات وعلى ذلك لابد لنا من معرفة ما هو المقام وما هو الحال وأيهما أسبق من الآخر عند أهل الزهد.

فالمقام:

عند القشيري: هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب بما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف [1].

وعند الغزالي: المقام ما ثبت واستقر عليه الزاهد [2].

---

[1] القشيري: الرسالة ٣٠.

[2] ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ٤ ٢٥٠.

وقيل المقام : مقام العبد بين يدي الله ﷻ فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله ﷻ) .

والمقام له شروط : أن لا يرتقي من م ام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم...) .

أما الحال:

عند القشيري، معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا أنساب لهم من طرب أو حزن أو فيض أو شوق أو غيره) .

وعند الإمام الغزالي: فإن الحال لا يدوم ولا يثبت وإنما يتحول به من حال إلى أذ ى) .

وقيل الحال : ما يعرض للسالك دون كسب منا ، وقيل بأنه نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم) . وقيل بأنه الصلة أو الرابطة الوجودية التي تصل المخلوق بخالقه) .

) الطوسي، اللمع ٤١ ؛

) القشيري، الرسالة ٣ ٤ .

) المصدر نفسه ٤ .

) ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدين ٢٥ .

) التفتازاني، ابن عطاء السكندري ٣٠ .

) الطوسي، للمع ٢ .

) الحكيم: د.سعاد، المعجم الصوفي، ، دندره للطباعة، بيروت ٩٨١ م ٣٤ .

وبعد معرفة ما هو المقام وما هو الحال لابد من ذكر أيهما أسبق من الآخر، وعلى ذلك سأبين آراء علماء التصوف والزهد في ذلك.

عند الإمام الغزالي فإنه قدم الأحوال على المقامات وذلك، لأن الغزالي عدّ الأحوال هي التي توصل إلى المقامات، لأن الأحوال مواهب ترقي لى المقامات، والمقامات مكاسب، وعنده تكون بعض الأحوال مقامات مثل التوبة فيها مقام وحال، والزهد حال ومقام والتوكل والرضا وغيرها. وعنده المقام يدل على الثبوت والاستقرار وذلك عندما يكمل الزاهد الأ ـ وال يثبت في المقامات فإنه ارتقى إلى درجة أعلى من الأولى) .

وقد جعل الإمام الطوسي والقشيري وغيرهم المقامات تسبق الأحوال لأن عندهم المقام ما يناله الزاهد من الآداب ويتوصل بها بعد المجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله ﷻ . ثم ينتقل إلى الأحوال التي تكون أعلى مرتبة من المقامات ') .

) ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدين ، ٢٦' .

') ينظر: القشيري، الرسالة ٥٣ ؛ الطوسي، اللمع ١ .

أما عدد المقامات والأحو ل فقد تباينت عند علماء التصوف وهي:

المقامات: عند الغزالي والطوسي (التوبة والورع والزهد والصبر والفقر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا) . وقد زاد غيرهم: المحاسبة والإخلاص) . ومنهم من جعلها تسع مقامات ومنهم من جعلها خمساً وعشرين مقاماً) .

أما الأحوال: ما قاله الطوسي: (المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين)) .

وعدها الغزالي (الحب والشوق والأنس والقرب والحياء والاتصال والقبض والبسط والفناء والبقاء)) .

وعدها السكندري (الأنس والقبض والبسط والفرق والجمع والغيبة والحضور والصحو والسكر والفناء والبقاء)) .

) الغزالي، إحياء علوم الدين ، ٢٣١ ؛ الطوسي، اللمع ٢ . علماً إن المقا مات عند الطوسي هي سبعة فقط ما عدا (الشكر والخوف والرجاء) .

) ينظر: عيسى ، عبد القادر، حقائق عن التصوف، ص ٥ ، مطبعة النواعير ،الرمادي ، ١٩٩٢ ، ٨٤ .

) ينظر: المكي، قوت القلوب ١٧٨ ؛ النقشبندي، امين الشيخ علاء الدين ،ما هو التصوف،صححه د . محمد شريف احمد ، تقديم الشيخ عبدالكريم المدرس ، دار العربية ، بغداد ١٠٦ .

) الطوسي، اللمع ٦ ١٩ .

) الغزالي، إحياء علوم الدين ، ٣٩ ٤٧ .

فهذا الاختلاف من عالمٍ إلى آخر يكون فقط في الألفاظ، أما المعنى والدلالة تكاد تكون واحدة.

ومنهم من جعل الرجاء والخوف من المقامات، وذلك لأن المقامات والأحوال هي أمور قلبية (باطنية) وظاهرية. وبذلك جعلوا الرجاء والخوف من الأمور الظاهرية، بمقدور الإنسان القيام به أما القلبية فهي شيءٌ يرد على القلب دون تدخل الإنسان فيه.

وقد أشار السكندري بعدم صحة مقام من المقامات السلوك إلا إذا كان قائماً على أساس إسقاط الإرادة والتدبير، وبذلك يقول: (فأعلم أن مقامات اليقين تسعة وهي التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والتوكل والمحبة، ولا يصح كل واحد من هذه المقامات إلا بإسقاط التدبير مع الله والاختيار)، أما الأحوال فهي عنده واردة على السالك، وورود ما عليه مشعر له تماماً بأنه لا إرادة له ولا تدبير مع الله [1].

والإرادة من القوانين هذا العلم وجوامع أبنيته، وهي الإجابة لدواعي الحقيقة طوعاً [2].

فالمانع من الوصول لإرادة عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة، والمانع من الإرادة عدم الإيمان، وسبب ذلك الابتعاد عن الهداة

---

[1] التفتازاني، ابن عطاء السكندري ٣١.

[2] المصدر نفسه ٣٠ ٣١.

[3] الهروي، منازل السائرين ١٦.

والعلماء والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها.

فأصبح ضعف الإرادة والجهل بالطريق الصحيح عدم وجود سالكين صادقين في عملهم نحو الله ﷻ ، فيكون خالياً من الإرادة والحول والقوة إلا بالله تعالى ويفوض أمره إليه) .

فحقيقة الإرادة نهوض القلب في طلب الحق سبحانه، فإن لم يتجرد الزاهد عن إرادته لا يكون مريداً كما أن من لا إرادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مريداً) . قال أبو عثمان الحيري: من لم تصح إرادته بدار لا يزيده مرور الأيام عليه إلا إدبار) .

وكذلك لابد للزاهد أن يكون قد أسقط التدبير مع الله ﷻ ، والرضا بما يورده عليا ، والتدبير هو النظر في عاقبة الأمور أو التفكر فيما ستؤول إليه مستقبلاً. وليس للإنسان من حيث هو كائن لا إرادة له بالقياس إلى إرادة الله. ولما كان في التدبير إشغال لفكر الزاهد بما ستؤول إليه الأمور في المستقبل، فيعد هذا هو من آفات السلوك للوصول إلى الله ﷻ، والتي تحجب المسالك عن الوصول إليه. لأن ذلك يشغل

) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ٥ .

) ينظر: القشيري، الرسالة ٥٧ .

) المصدر نفسه ٥٩ .

) التفتازاني، ابن عطاء السكندري ٠١ .

الزاهد فلا يتمكن من القيام بما هو مطلوب من العبادة والمجاهدة التي هي وسيلة للوصول إلى الله تعالى. ولا يصل أحد من الزاهدين إلا إذا تخلى في سلوكه عن إرادته وتدبيره وتفويض ذلك إلى الله ﷻ) .

وعلى ذلك فلا يكون الزاهد بلا إرادة نحو أفعاله، وإنما لابد للزاهد أن يقوي إرادته بتعويده عن الكف عن شهواته النابعة عن الرغبة في الانغماس بها، فلابد الكف عن الشهوات المختلفة شيئاً فشيئاً وبذلك مهد لها الطريق في السيطرة على جميع دوافعه ونزواته ') . فالإرادة المدبرة للزاهد التي تمنعه من ارتكاب المحرمات لا ينعدم وجودها ولا ينكر، وإنما أبعدها عن الظهور تلك الرذائل والآفات الدنيئة. وبذلك لابد للزاهد من السيطرة على شهواته ورغباته التي تبعد عنه تلك الإرادة وتمنعه من تدبير لهذه الأمور الدنيوية. وهذا لا يكون إلا بالمجاهدة والابتعاد عن الرذائل.

خامساً : ابتعاد الزاهد عن الدنيا

قرر القرآن أن الحياة الأخرى خير من الحياة الدنيا، وإن الكمال الروحي هو الغاية التي يجب أن يتجه إليها كل مسلم، ولهذا يحذر الله من يركن إلى لحياة الدنيا بدون أن يستعد بالعمل الصالح للآخرة. قال تعالى

) المصدر نفسه ٢٩ ٣٠ .

') ينظر: المصدر نفسه ٣٠ ٣١ .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

وقد وصف القرآن الدنيا وذمها ونهى عن الاغترار بها فقال - تعالى - ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ..... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [2] وهذا التحذير الذي جاء من عليم خير يرشد المسلم الزاهد بالابتعاد عن الدنيا وزينتها ولا يغره تلك الزينة التي تجعل الإنسان يهوى في نار جهنم والذي يأخذ هذا التحذير على الجدية والحسبان فإنه سيفوز الفوز العظيم في الحياة الدنيا والآخرة.

فالمبدأ الروحي الذي يستلزم تضحية الزاهد في جميع رغبات الجسد وملذاته، فلا يكون إلا من نفس مبتعدة عن الدنيا وزينتها. لأن الترف يضعف الروح الإيجابية المتمثلة بالروح الزاهدة، وينمو الروح السلبية المتمثلة بالروح المترفة. لأن الإرادة لكلا الروحين تضعف وتزاد بالعمل الجاد الذي يضعف ويقوي الروحين. ولا يقوي ذلك إلا أمران:

الأول: صلة الإنسان الزاهد بالله ﷻ .

الثاني: الزهد في الدنيا والعمل الجاد للآخرة.

---

[1] هود ١٥ ١٦

[2] الحديد ٢٠

فمخالفة النفس أمر ضروري للزاهد إذ به يُنقي نفسه من الرذائل، وبهذا الأمر يدخل الجنة كما قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ .

وقد نهى الرسول ﷺ عن إتباع الهوى فقال: (أخوف ما أخاف على أمتي إتباع الهوى وطول الأمل) [1] .

فيقول ابن عباس في إتباع الهوى: ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان، والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه ولا يعمل بكتاب الله كأنه يعبد هواه [2] . كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [3] .

وعلى ذلك فإن العبادات هي المجاهدة التي توصل العبد إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت هذه المعرفة فقد وصل، وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة، ولكن لا يكون الزاهد تاركاً للفرائض والسنن بل

---

[1] النازعات ٠ ٤١

[2] العجلوني ، إسماعيل بن محمد ت ١١٦٢ هـ ، كشف الخفاء ومزيل الالباس ، ٢ : تصحيح أحمد القلاس ، مؤسسة الرسالة . بيروت ٢٠٠٠ ١ ٧٠ .

[3] الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف، التزام سعيد علي الخصوصي، المكتبة السعيدية - مصر ٠٠ .

[4] سورة ص ٢٦

[1] ـ د له من ذلك إضافة إلى المجاهدة الحقيـ ـة التي توصله إلى الله ﷻ [1].

وإن مجاهدة الزاهد نفسه بإلزامها الطاعة أمر شاق للغاية لما في النفس الأمارة من ميل قوي ظاهر إلى المعصية، وفي ذلك ابتعاده عن أمور الدنيا وما ينقصه من عمله إزاء الآخرة [2]. وقد ذمّ الشاعر الدنيا وما فيها:

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم		وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلت بالأمس لذةً		فأفنيتها هل أنت إلا كحالم
فكم غافل عنه وليس بغافل		وكم نائم عنه وليس بنائم. [3]

إذن: فلاح العبد الزاهد في تزكية خلقه من الرذائل وما يقرب منها، والتقرب بالعمل بالفضائل وما يقرب منها كالصلاة والزكاة والحج وإتباع أوامر الله ﷻ وأقوال الرسول ﷺ، في الابتعاد عن الدنيا وما تجلبه الزاهد من خسران له، والامتثال بالأعمال التي توصله إلى الآخرة التي لا تفنى. كما قال تعالى ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [4].

---

[1] ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٩ ٣٠.

[2] ينظر: التفتازاني: ابن عطاء السكندري ٦٨ ٦٩.

[3] علي: المنهاج الإسلامي ٠٣..

[4] الأعلى ١٧

فلا سعادة في الآخرة إلا لمن قدِم على الله سبحانه، عارفاً به محباً له، فإن المحبة لا تناله إلا بدوام لذكر، والمعرفة لا تناله إلا بدوام الطلب والفكر، ولا يتفرغ لهما إلا من أعرض عن أشغال الدنيا) .

) الغزالي: آداب الصحبة والمعاشرة ٣٧ .

الخاتمة

بعد إكمال هذا البحث المتواضع فقد توصلت إلى نتائج أذكر منها ما يلي:

. للزهد أهمية جليلة في تربية نفس الزاهد تربية صحيحة تجعله يفوز بالآخرة.

. الزهد حقيقة مستمد من الكتاب والسنة النبوية ومن يحيد عنهما فإنه ليس بزاهد وإنما هو متزهد.

. من لبس لباس الزهد الحقيقي فإنه ذو فضل عظيم في الدنيا وله الخيرية وإراحة القلب من هموم الدنيا.

. للزهد ثمرتين تظهر للزاهد ثمرة في الدنيا وثمرة في الآخرة.

. قد أعطى القرآن صفات للزاهدين في الدنيا منها التائبون والعابدون الحامدون الطائعون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وغيرها.

. لابد للزاهد من الدخول في المقامات والأحوال التي تجعل نفسه صافية من الرذائل التي تتعلق بها.

٢. للمجاهدة النفس أثر كبير في ابتعاد المسلم عن الدنيا وما تؤول به من النعيم والترف الذي يبعد المسلم عن الآخرة.

٣. لابد للزاهد أن يسقط الإرادة والتدبير ولكن لا يكون متقاعساً عن أمور الدنيا ويجعل كل الأمور تسيرها الأقدار.

٤. لابد للزاهد من مخالفة نفسه وما تروم الوصول إليه من شهوات ورغبات دنيوية.

المصـــادر

. **القرآن الكريم**

. **الكتاب المقدس**

. **الآلوسي** : أبو ثناء، شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القـــرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الفكر .

. **الترمذي** ، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحســـن الحكـــيم، كتـــاب الرياضة وآداب النفس ، د. اج أربرى ود. علي حسن عبد القـــادر، مطبعة مصطفى البـ ي، مصر ٩٤٧ .

. **التفتازاني** : محمد الغنيمي، ابن عطاء السكندري وتصوفه، المطبعـــة الفنية الحديثة.

. **ابن حالا** ، علي، مرآة الأخلاق، بلا .

. **الحكيم** : د. سعاد، المعجم الصوفي، ، دندره للطباعة، بيـــروت، ٩٨١ م.

. **الشاذلي** : جمال الدين أبي المواهب د ٠٠٠ هـــ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

. **الشاذلي** : عبد اللطيف، التصوف والمجتمع، مطابع سلا،

٠ . **طاش كبري زاد** ، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، راجعه كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة.

١ . **الطوسي** ، سراج الدين، أبو نصر عبد الله بن علي ، اللمع في التصوف ، صححه رنولد نيكسلون ، مطبعة بريل ، ليدز ١٩١٤ .

٢ . **العجلوني** ، اسماعيل بن محمد ، ت ١١٦٢ هـ ؛ ط ٢ ؛ تصحيح أحمد القلاس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

٣ . **ابن عطا الله السكندري** ، التنوير في إسقاط التدبير، القاهرة، ٣٤٥ هـ.

٤ . **علي** : هاشم محمد، المنهاج الإسلامي، تقديم عبد الله عقيل سليمان، دار الثقافة، الدوحة، ٩٩٦ م.

٥ . **عيسى**، عبد القادر ، حقائق عن التصوف ؛ ط ٥ ، مطبعة النواعير ، الرمادي ١٩٩٢ .

٦ . **الغزالي** : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي د ٥٠٥ هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

٧ . **الغزالي** ، آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، تحقيق د.محمد سعود، مطبعة العاني، بغداد، ٩٨٤ م.

٨ . **الغزالي** ، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف التزام سعيد علي الخصوصي، المكتبة السعيدية. مصر .

٩ . **غني** ، د. قاسم، تاريخ التصوف في الإسا م، ترجمة صادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية ٩٧٠ م.

١٠ . **الفيروز آبادي** ، مجد الدين محمد بن يعقوب د ١٧، هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجاد، القاهر ٣٨٧ هـ.

١١ . **القرطبي** : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر ، بيروت ٩٩٨ م.

١٢ . **القشيري** : عبد الكريم بن هوازن القشيري د ٦٥ هـ، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار التربية، بغداد.

١٣ . **الكرماني** : أحمد حميد الدين، الأقوال الذهبية، ، تحقيق د. مصطفى غالب، دار محيو للطباعة، بيروت ٩٧٧ م.

١٤ . **محمد بن علان الصديقي الشافعي** د ٠٥٧ هـ، دليل الفالحين وعمدة السالكين، ، دار الريان للتراث ، القاهرة ٩٨٧ م.

٥ . **محمود أبو الفيض المنوفي** : معالم الطريق إلى الله،دار العهد الجديد .

٦ . **المكي** : أبو طالب، قوت القلوب، بلا .

٧ . **النقشبندي** ، أمين الشيخ علاء الدين ، ما هو التصوف، صححه د. محمد ـ ريف أحمد ، تقديم الشيخ عبد الكريم المدرس ، دار العربية ، بغداد .

٨ . **الهروي** : عبد الله الأنصاري د ٨١ هـ، كتاب منازل السائرين، مكتبة الشرق الجديد، بغداد.